الأسرة الحادية عشرة

مقدمة

في العهد الذي نجحت فيه أسرة حكام «هراكليو بوليس» (إهناسية المدينة) في اغتصاب السلطة من آخر ملوك «منف» الضعفاء، كانت هناك أسرة أخرى في الصعيد تنمو وتترعرع في مقاطعتها التي كان يطلق عليها اسم «واست» (الأقصر الحالية)، وهي المقاطعة الرابعة من مقاطعات الوجه القبلي، وتقع جنوب مقاطعتي «قفط» وهي المقاطعة الخامسة، ومقاطعة «دندرة» وهي المقاطعة السادسة، وكانت عاصمة «واست» تسمى «إيون» الجنوبية؛ (أي «عين شمس» الجنوبية)، وموقعها الآن بلدة «أرمنت» الحالية.

ولا نعلم عن تاريخ مقاطعة «واست» شيئًا خطيرًا في عصر الدولة القديمة، وكل ما نعرفه في ذلك الوقت أن البقاع التي تكونت منها بعد مدينة «طيبة» العظيمة كانت قرى صغيرة متجمعة حول مدينة الأقصر الحالية، وهي «واست» السالفة الذكر و«الكرنك»، وكانت هذه المقاطعة تضم مدنًا صغيرة آهلة بالسكان، غير أنه لم تبلغ واحدة منها ما بلغته «واست» أو «الكرنك».

ففي أعلى النهر كانت مثلًا قرية «طود» وتبعد ثلاثين كيلومترًا على الضفة الشرقية من النيل، وكان يقابلها في الجهة الأخرى من النهر بلدة «أرمنت»، وكانت «المدمود» كذلك تقع على منحدر النهر بالقرب من الصحراء الشرقية على مسافة لا تقل عن خمسة عشر كيلومترًا، وعندما برزت هذه المدن الصغيرة أو القرى في عالم الوجود للمرَّة الأولى في عهد الدولة القديمة كان لكل منها معبد للإله «منتو» (إله الحرب) وهو إله المقاطعة، ومن المعقول أن يكون معبده في كل قرية من هذه القرى، هو المعبد الذي يُهتم به ويُسعى

إليه، غير أن الإنسان كان لا يعدم ذكر اسم الإله «أوزير» في هذه الأماكن، وكذلك الإله «مين» الذي كان يُمثَّل بعضو التذكير منتشرًا، ولم نسمع قط بذكر الإله «آمون» حتى عام ٢١٤٠ق.م، ومع ذلك فإنه كان لا يذكر إلا نادرًا جدًّا (Stela of Magegi, Scott-Moncrieff, Hieroglyphic texts in the Brit, Museum, Vol. I, pl. 50)، وقد انتخب عظماء هذه القرى، وهي التي أصبحت طيبة عند نهاية الدولة القديمة، لدفن موتاهم تلًّا صخريًّا قليل الارتفاع في صحراء الجهة الغربية من النيل يسمى في عصرنا «الخوخة»، فقد اختار «ونيس عنخ» الذي كان يلقب ولي العهد، وحاكم الجنوب، ومدير مخازن الغلال، هذه البقعة لدفنه، وكذلك فعل ابنه (راجع Metropolitan Museum of Art; 22.3.325; Diaries, Metropolitan Museum of Art, Bulletin March Part II P. 23, Fig 34).

مقبرة إحي حاكم مقاطعة طيبة

وكذلك عثر فيها على مقبرة لعظيم يدعى «إحي» وامرأته «إمي»، وكان يلقب حاكم المقاطعة العظيم، والسمير الوحيد، والكاهن، والمرتل، وكاتم السر لكل كلام سري يصل إلى المقاطعة ... ومدير مخازن الغلال، والمدير الملكي. ونجد في مقبرته علاقته بالآلهة فقد كان المقرَّب من الإله «منتو» رب «أرمنت»، ومن إلهة كانت تُعبد في مقاطعة عين شمس (ربما كانت مصر القديمة الحالية)، ومن الإله «أوزير» رب بوصير، ومن الإله العظيم «رع». ومن ذلك يظهر أن «إحي» هذا كانت له مكانة عظيمة في البلاط؛ إذ كان على ما يظهر حاكم مقاطعة عظيمة في الوجه القبلي، وإن لم يذكر ذلك صراحة، وربما كانت المقاطعة الرابعة، كما نرجح أنه كان حاكمًا لمقاطعة أو بعض مقاطعة في الوجه البحري، هذا إذا لم يكن لقب «عزمر» (حاكم مقاطعة في الوجه البحري) مجرَّد لقب فخري له، ولم تذكر نقوشه صلة له بالإله «آمون» الذي كان يظنُّ أنه الإله المحلي للمقاطعة، بل ذكرت علاقته فقط بالإله «منتو»، وكذلك ذكرت علاقته بالإله «أوزير» الذي كانت عبادته شائعة في هذا العصر، كما ذكرت علاقته بالإله «بتاح سوكر» إله عاصمة الملك «منف» وقتئذ.[١]

[١] تقع مقبرة حاكم المقاطعة «إحي» في الجهة القبلية للمكان المسمى الآن «خلوة الهوَّى» وهو تل صخري في الجنوب الغربي من «العساسيف» في طيبة الغربية، وهذا القبر لا يدل في ظاهره على فخامة في صنعه ولا في نقوشه، بل هو في الواقع يشبه في أسلوب زخرفته الطراز البسيط الذي كان شائعًا في مقابر هذا

وقد دُفن في هذه الجهة كذلك الأمير الوراثي وحاكم الخاتم الإلهي (الملكي) «سني إقر» (راجع Gardiner & Weigall, Topographical Catalogue of Private Tombs at Thebes No. 185)، ولم يرد اسم طيبة في عهد الدولة القديمة غير ما ذكر إلا نادرًا في النقوش، وقد ذكر اسم مقاطعتها في قائمة الاثنتين والعشرين مقاطعة التي كان يحكمها «شماي» في عهد الفرعون «نترباو» ولكن على أثر وفاة «شماي» هذا أعطى هذا الملك نفسه ابنه «إدي» خمسًا من هذه المقاطعات تحت حكمه من «إلفنتين» (أسوان) إلى «ذيوس بوليس بارفا» (هوَّ) الحالية (Moret, Comptes rendus de l'Académie des Inscriptions 1914, P. 565 & Cairo 43053; M. M. A. 14, 7, 11) وتقع بالقرب من مرتفع جبل الطريف حيث ينعطف النيل على هيئة زاوية قائمة عند الحدود الشمالية لمصر الجنوبية، ولا نعلم عن هذه المقاطعات الخمس أكثر من أنها كنت تعتبر كتلة واحدة تحت حكم «قفط» وذلك بعد انقضاء عهد الدولة القديمة.

وإن «إلفنتين» و«إدفو» و«الكاب» قد أغار أهلها على حكام «طيبة» وجيرانها كما نعلم ذلك من نقوش مقبرة[٢] عثر عليها في «المعلة»، وكانت النتيجة أن تمزق شمل أرض الجنوب وأصبحت ولايات صغيرة (Drioton and Vandier, L'Egypte PP. 215–233).

وقد انتهت الدولة القديمة حسب الرواية التي يرويها مؤلف ورقة «تورين» في عام ٢٢٤٢ق.م، وهو تاريخ بداية الدولة الوسطى، وقد حدث ذلك نتيجة للثورة التي قام بها الملك «مري، اب، رع، خيتي» فرعون «هيراكليو بوليس» مؤسس الأسرة التاسعة وموحد مصر حتى الشلال (Ed. Meyer, Geschichte des Altertums Nachtrag P. 68)، وليس هناك من شك في أن «طيبة» كانت ضمن فتوح «خيتي» وقد أصبح ملكها الذي نجهل اسمه الآن ضمن رعايا الفرعون الجديد.

العصر تقريبًا في «أسوان» مثل مقبرة حرخوف، أما عبادة «آمون» باعتباره إلهًا محليًّا لهذه المقاطعة فلم تظهر إلا في أواخر الأسرة الحادية عشرة كما سيجيء بعد (Annales du Service des Antiquities de l'Egypte Vol. IV, P. 97).

[٢] Chronique d'Egypte Vol 35, P. 23.

أصل فراعنة الأسرة الحادية عشرة

وحوالي منتصف القرن الثاني والعشرين قبل الميلاد رزقت امرأة تدعى «اكوي» ابنًا أسمته «أنتف» ومن هذا الطفل المجدود نسل كل أمراء «طيبة» الذين أصبح منهم فيما بعد فراعنة مصر في عهد الأسرة الحادية عشرة، غير أن الحظ لم يسعفنا حتى الآن بالعثور على أثر معاصر له، اللهم إلا لوحة لحارس باب يدعى «ماعت»، ويحتمل أنه مع ذلك كان معاصرًا للفرعون العظيم «نب حبت-رع» وحامل خاتمه «ببي» وقد دعا «ماعت» هذا في نقوش لوحته بصلوات جنازية من أجل «أنتف عا» ابن «اكوي» هذه قائلًا:

ليته يهبني قربانًا في الجبانة بقدر ما أحتاج إليه كل يوم من مأكل.

وهذه اللوحة محفوظة الآن (Polotsky Inschriften des XI Dynastie) بمتحف متروبوليتان بأمريكا.

وبعد مرور قرن على تاريخ هذه اللوحة نجد «سنوسرت» الأوَّل قد أهدى تمثالًا صغيرًا من الجرانيت الأشهب على هيئة رجل جالس متربع على الأرض وذراعاه موضوعتان على صدره بخشوع، وقد نقش اسم صاحب التمثال في بردية محفورة على حجرة جاء فيها:

عمله ملك الوجه القبلي والوجه البحري «خبر-كا-رع» بمثابة أثر لوالده الأمير «أنتف عا» قربانًا ملكيًّا يقدَّم من خبز وجعة ونبيذ وألف من البقر والإوز وألف من أواني المرمر وألف من الملابس والبخور إلى المحترم عند «آمون» رب عروش الأرضين الأمير الوراثي «أنتف رعا» الذي وضعته أمه «اكوي».

(Legrain, Statues et Statuettes de Rois et de Particuliers No. 42005 & Evers, Staat aus dem Stein Pl. 52).

أسرة أنتف

وتدل كل الشواهد على أن جد سلالة أمراء «طيبة» وهم الذين أصبحوا فيما بعد ملوكًا فيها كان يسمى «أنتف» وكان أميرًا معروفًا للخاص والعام؛ لدرجة أن «تحتمس الثالث» الذي خلفه على عرش مصر بعد ثمانمائة عام بنى في معبده بالكرنك قاعة خاصة لأجداده ونقش أسماءهم عليها، وكان أول اسم نقشه على جدرانها للأسرة الحادية عشرة هو: الحاكم

والأمير الوراثي «أنتف» المبرأ ولكنه لم يضع الاسم في طغراء (Prisse; Monuments Egyptien, Pl. 1; Sethe, Urkunden der 18 Dynastie; IV. 606).

وقد كشف «مريت» عن لوحة جنازية لهذا الأمير في «ذراع أبو النجا» وهي غاية في دقة الصنع، وقد نقش عليها بعد الصيغة الدينية: الأمير الوراثي والحاكم العظيم لمقاطعة «واست» (طيبة) والذي يرضى الملك بوصفه حارس باب الجنوب، والعماد العظيم لمحيي الأرضين، والكاهن الأوَّل المقرَّب لدى الإله العظيم رب السماء «أنتفي».

(Mariette, "Monuments Divers Recueilles en Egypte et en Nubie, P. 16, Pl. 50; Maspero, Dawn of Civilisation, P. 115; Lange und Schafer," Grab und Denkstein des Mittleren Reich, No. 20009; Breasted, Ancient Records, Vol. 1, Par 420).

غير أن اسم «أنتفي» هنا يوحي إلينا بأننا أمام لوحة لحاكم مقاطعة آخر غير ابن السيدة «اكوي»، ويحتمل أن هناك «أنتف» ثالثًا على لوحة لفرد عادي يحمل نفس الاسم «أنتف»، ويدل الطراز الجميل الذي نُقشت به لوحته على أنه من المحتمل أن ينسب إلى عصر متأخر عن عصر «أنتف» الذي نحن بصدده، وقد جاء فيما بعد الصيغة الدينية = حامل الخاتم، والسمير الوحيد، والمشرف على التراجمة القائد = أنتف = يقول: إني أنحدر في النهر وأصعد فيه مع الأمير الوراثي وحاكم المقاطعة العظيم للوجه القبلي «أنتف»، وتشاهد زوجه واقفة خلف صاحب اللوحة وقد نعتت بأنها زوجه المحبوبة، وحلية الملك الفريدة (وصيفته) رئيسة الكهنة «إرو».

(Spiegelberg & Portner, Grab und Denksteine aus Suddeutschen Sammlungen, Vol, I. Pl. XI, No. 18; Spiegelberg, Zeitschrift für Agyptis-che Sprache "1912" P. 119).

ولدينا قطعة من لوحة عثر عليها في «دندرة» لكاهن الإلهة «حتحور» سيدة «دندرة» تذكر لنا اسم أمير عظيم للأرض الجنوبية يسمى «أنتف عا»، ومن المحتمل أنه أحد هؤلاء الأمراء (Daressy A. S. 1919, 185).

ومن كل هذا نرى أننا أمام اثنين بل أربعة من أعضاء هذه الأسرة قد اختلط علينا أمرهم بسبب تشابه أسمائهم، فلدينا «أنتف عا» بن «اكوي»، و«أنتفي» و«أنتف عا» ومن المحتمل «أنتف» آخر، وكل هؤلاء قد عاشوا في القرن الذي جاء بين قيام دولة «إهناسية المدينة» والثورة التي قام بها الطيبيون.

ومن المحتمل أن يكون أكثر الأمكنة ازدحامًا بالسكان في «طيبة» هو الذي حول «الأقصر» الحالية، وكان يُعرف في الأزمان القديمة باسم «أبت» (الحريم).

(Steindorff and Wolff, Thebanische Graberwelt P. 9).

وتدل ظواهر الأمور على أنه عندما امتدت قرية الأحياء على الشاطئ الأيمن للنيل حتى جاورت معبد «منتو» بالكرنك، كانت مدينة الأموات الواقعة في الغرب على ما يظهر قد نُقلت إلى الشمال، ولم يكن في هذه البقعة صخور مجاورة ليتمكن الأهلون من أن ينحتوا مثواهم الأبدي؛ وذلك لأن الصحراء الواقعة شمالي بداية وادي الملوك عبارة عن سهل من الحصباء يشبه بعضه البعض، وتخترقه مجاري ماء، غير أنه كان في وسع الرجل الرقيق الحال أن يحفر حفرة مستطيلة بصورة لا تجعل التابوت يُخدش عندما يدلى في القبر، أما إذا كان صاحب القبر من أهل اليسار خط لنفسه مقبرة ذات ردهة محفورة في السهل وأقام لها رواقًا ذا عمد بسيطة، وفي خلال القرن الذي تلا استعمال هذه البقعة نجد أن هذه الجبانة قد شغلت ما يزيد عن كيلومتر من هذه الصحراء شمالًا وجنوبًا، وما يماثل هذه المساحة غربًا (Petrie, Qurneh P. 2)، ونظن أن أمراء المقاطعة قد دُفنوا في المقابر الكبيرة الواقعة في الطرف الشمالي من هذه الجبانة بالقرب من مجرى المياه الذي يخترق السهل قبالة معبد «منتو»، ولا نستطيع أن نقطع بمكان دفنهم، غير أننا لسنا بعيدين عن الصواب فيما ذهبنا إليه؛ وذلك لأن العادة قد جرت في أسر التاريخ المصري أن يشغل الفضاء المعد لإقامة المقابر مبتدئًا من الشمال ومنتقلًا إلى الجنوب، وفي هذه الجبانة التي نحن بصددها الآن نجد أن هذا الميل كان متبعًا، وقد أثبتت ذلك الحفائر الضئيلة التي أجريت في هذه الجهة حديثًا.

سهر تاوى أنتف (٢١٤٣–٢١٤٠ق.م)

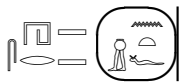

ويظهر أنه قد جاء بعد «أنتف» مؤسس هذه الأسرة أنتف آخر كان يحكم المقاطعة الطيبية، ولقد أحس في نفسه القدرة على اغتصاب ملك البلاد الجنوبية، ولكنا لم نرَه — كما لم نرَ أحدًا من خلفائه الثلاثة الذين تولوا بعده الملك — يلبس تاج البلاد المزدوج «تاج الوجهين القبلي والبحري» وإن كان يُلقب كل واحد منهم نسوت بيتي «ملك الوجه القبلي وملك الوجه البحري»، وقد روت لنا الأجيال التالية لحكمه أن اسمه «حور سهر تاوى»؛ أي حور مهدئ الأرضين، ابن الشمس أنتف، من غير لقب خاص أو اسم آخر من أسماء هؤلاء الملوك الذين كانوا يحكمون القطرين؛ أي (Vandier, Bulletin de l’Institut Français d’Archeologie Orientale “1936” P. 102; F. Bisson de la Roque, Tod. P. 75, Fig. 27, 30)، أنه لم يحمل كل الألقاب الفرعونية الرسمية التي كان يلقب بها الفرعون يوم توليته العرش في احتفال رسمي (مصر القديمة جزء أول).

ويعتبر «سهر تاوى أنتف» في نظر التاريخ الأمير الأوَّل من الأمراء الستة الذين تتألف منهم الأسرة الحادية عشرة، وهم الذين حكموا نصف البلاد قبل مجيء الأسرة الثانية عشرة بما يقرب من ١٤٣ سنة؛ أي منذ نحو سنة ٢١٤٣ق.م، إلى سنة ٢٠٠٠ق.م، وقد كان أوَّل حاكم طيبي كتب اسمه داخل طغراء، بل إنه بدأ سافرًا وظهر في غير التواء مناهضًا للفرعون الذي كان يحكم البلاد في «إهناسية المدينة» و«منف» في تلك الفترة.

ولقد أفلح هذا العصيان وأتى بثمره، قبل وفاة «سهر تاوى» بثلاث سنين أو أربع، وكان قد أتم إقامة مقره الأخير على الضفة الغربية للنيل، وتدل ظواهر الأمور على أنه

مكث يحكم «طيبة» عدَّة أعوام، ولا أدل على ذلك من أنه حفر مدفنه في الجبانة الشمالية على مقربة من مقابر حكام المقاطعة.

وهذا النوع من المقابر الملكية يطلق عليه المصريون الآن في هذه الجهة «صف»، ويطلق هذا الاسم بخاصة على أول مقابر ملكية في طيبة الغربية انظر (شكل ١) لأنها تشمل صفوفًا من الأبواب الغائرة في سهل الصحراء، وهذه المقابر كانت تتجه نحو «الكرنك» وقد كانت مقبرة هذا الأمير، أو صفه كما يسميه سكان هذه الجهة الآن، مقامة في السهل المنبسط المكوَّن من الحصا على بعد ثلاثة كيلومترات تقريبًا عبر النهر من معبد الإله «منتو»، وكانت قد حُفرت على عمق خمسة أو ستة أمتار في جوف السهل، غير أنها كانت تظهر للعين أكثر عمقًا من ذلك، لما تراكم حولها من الأكوام الهائلة من شظيات الأحجار، وقد كان عرضها حوالي ٨٠ مترًا وطولها يربي على مائة متر قبل أن تخترق ترعة الري الحديثة طرفها الشرقي، وعلى الإنسان الذي يريد الوصول إليها أن يسير من شاطئ النهر قبالة طيبة مخترقًا سهلًا ضيقًا؛ حيث كان صناع اللبن يصنعون لبناتهم التي كانت تحتوي على جزء كبير من الرمل، ولما تحوَّل النيل في السنين الأخيرة نحو الشرق بقي غرينه الجميل، فأصبحت اللبنات التي تُصنع منه تشبه التي تُصنع في عصرنا الحالي. وعلى مسافة خطوات قليلة بعد حفر عمال اللبنات تصادفنا الصحراء، وهنا نجد الردهة الغائرة ذات الأبواب التي أقيمت فيها من كل الجهات، وهي التي تؤدي إلى المقرات الأبدية لرجال بلاط «سهر تاوى»، ويوجد خلف «الصف» نحو الاثني عشر بابًا، وهي التي تشتمل عليها مقبرة هذا الأمير، وهذه الأبواب تنحدر عند زاوية في الصخرة من واجهة بارزة ومنحدرة بعض الشيء، وإنا لنظن أن هذه الواجهة كانت قاعدة لهرم مصنوع من اللبن أقامه هذا الأمير فوق مقبرته، ومما يؤسف له جدَّ الأسف أننا لا نعرف عن هذا الفرعون شيئًا غير اسمه، وغير هذه المقبرة التي كانت بلا مراء مقره الأخير، وغير ثلاث السنوات التي سلخها في حكم البلاد.

ولا نزاع في أنه هو أول من وضع اسمه في طغراء، واكتسب لنفسه بعض مظاهر الملك من حكام مقاطعة طيبة الذين حكموها زهاء قرن؛ غير أننا لا نعرف شيئًا عن أية حادثة حدثت في عهده خاصة بالحروب التي هزت أركان البلاد نحو ثمانين عامًا أو تزيد.

شكل ١